البسملة" بالخط الديواني

الشباب العراقي والتنمية الاجتماعية
جدل الطاقات المعطلة والأهداف المؤجلة

أ.م.د. رسول المطلق

٢٠١٥

نهدف في هذا البحث التوصل إلى نتائج ممكن ان تُفضي إلى توسيع وتعميق الأساس المعرفي للقضايا ذات الأولوية للشباب العراقي وتوفير المؤشرات والقرائن العلمية لتعزيز الدعوة والحوار الجاد لتضمين قضايا الشباب واحتياجاتهم في سياسات وخطط التنمية البشرية المستدامة وبرامجها لوضع خطط مستقلة للشباب وتقديم توصيات وتوفير دروس مستفادة حول عناصر البيئة الداعمة لأولويات سياسات تنمية الشباب للنهوض بواقع الشباب في المجتمع العراق العراقي. الشباب Youth، أياً كان تعريفهم، هم طاقة البلد وثروته البشرية المستقبلية وعمادها الغالي، لذلك فان الاستثمار فيهم، يُعدْ جهداً تنموياً ضرورياً لمستقبلهم، ورعاية أفكارهم وبناء شخصياتهم وتنمية مجتمعهم.غير أن شباب العراق واجهوا أوقاتاً عصيبة، فقد كانوا حطب الحروب وضحايا النزاعات والخصومات المسلحة، هذا إلى جانب البطالة والفقر والتهميش والتهجير القسري..الخ، كما ذهب الآلاف منهم أيضاً ضحايا لجرائم العنف والإرهاب والاحتلال.

إذ ان صورة التخلف في المجتمع العراقي احتوت ومنذ عقود طويلة، على أهم ثلاثة عناصر أساسية خالطتها ألوان أخرى. هذه العناصر هي الفقر، والمرض، والجهل والأمية، فضلاً عن مشكلات أخرى مثل: الجريمة، وجنوح الأحداث والتفكك العائلي، والتشرد، وانتشار المخدرات في علاقات سببية معقدة يصعب في هذا البحث الإحاطة بها واليقين بنتائجها الإحصائية من حيث نسبية التأثير والتأثر.

الشباب فرصة ديمغرافية وتنموية، لكنها قد تنقلب لتصبح عبئاً ثقيلاً يُصادر الثمار المتوقعة من الهبة الديموغرافية الناجمة عن الخصائص النوعية للفئات القادرة على العمل والإنتاج، ولاسيما فئة الشباب التي تمثل رأس المال الحقيقي القابل للاستثمار والواعد بمخرجات تنموية بشرية ومادية مجزية. والعائد الديمغرافي (النافذة الديموغرافية) الذي يمثل فرصة لبناء قدرات الشباب وتوجيهها بوصفها رافداً أساسياً في مجرى العملية التنموية. ولعل أول مؤشرات ذلك البناء هو توسيع خيارات الشباب من خلال تعظيم قدراتهم وطاقاتهم النفسية، والفنية، والعلمية، وتمكينهم من المشاركة في المجالات الأساسية في حياة مجتمعهم.إن استبعاد الشباب، وتهميش أدوارهم لا يسلب حقوقهم ولا يغلق آفاق طموحاتهم فقط، بل يصادر قدرة المجتمع على بناء هويته المستقبلية وشروط وجوده في عالم متغير .

رؤية البحث:

- ينظر الباحثون إلى أوضاع الشباب الراهنة في المجتمع العراقي كحالة معبرة عن " أزمة مجتمعية حقيقية تجسدها حالات الضياع وأزمة الهوية والانتماء، فضلاً عن حالات احتدام الصراع الاجتماعي بين مختلف القوى التي تشكل البناء الاجتماعي "

وهي ناتجة عن :

- فشل التنمية الاقتصادية، والتنمية

وبما ان الشباب وهم يمثلون ثلثي (٢/٣) السكان تقريباً: مما يترتب على هذا الواقع مواقف من المجتمع منها:

- مواقف تجاه الدولة كأجهزة بيروقراطية إذ يرى الشباب بأنها (الدولة) مسؤولة عن تهميشهم وإبعادهم عن الحياة الاقتصادية والسياسية ومن ثم يتجهون نحو الإنسحاب من الحياة العامة.

الشباب: فرصة أم تحد للتنمية في العراق:

من منظور اقتصادي بحت، يمكن اعتبار الارتفاع الحاد في أعداد شباب وشابات العراق ونسبهم تحدياً للسياسات المالية الوطنية.إذ تفرض زيادة عدد الشباب تحديات وإيجاد فرص تنموية، ويمكن أن تؤتي ثمارها مع وصولهم إلى سن العمل، وعندما تنكمش نسبة السكان ممن هم خارج قوة العمل مقارنة بالسكان داخل قوة العمل فانه يصبح بالإمكان زيادة الإنتاجية وزيادة حجم الدخل وهذا ما تطلق عليه الأدبيات الديموغرافية بـ «الهبة الديموغرافية» لذا يشير بعض الخبراء إلى إن المدة الزمنية التي تمتد ما بين ٣٠-٤٠ عاماً والتي تتميز بارتفاع نسبة السكان في سن العمل على إنها فرصة ديموغرافية للنمو الاقتصادي، وان كانت مشروطة باستجابة السياسات الاجتماعية والاقتصادية في البلد.

إن وجود هذه النسبة الكبيرة من الشباب في العراق (الهبة الديموغرافية) يعني أنه أمام انفتاح لنافذته السكانية، وهو ما يترك أمام البلد خيارين تنمويين:

الخيار الأول: التعامل السلبي مع هذه الهبة والاستمرار في هدرها.

الخيار الثاني: التعامل الايجابي من خلال الاستثمار أكثر في هذه الفئة تعليماً وتدريباً وصحة.

أثبتت التجربة العراقية التي اعتمدت الخيار الأول انه طريق سهل لهدر الإنسان وضياع التنمية، في وقت تبنت فيه بلدان أخرى الخيار الثاني كانت قد انطلقت مع العراق في مضمار التنمية فسبقته لتثبت أن الاستثمار في الشباب هو في جوهره استثمار في تنمية أفضل وأقدر على الاطراد .

من اللافت في تجربة النمور الأسيوية هو استثمارها في البشر عموما وفي الشباب خصوصا، لذا تمكنت من تحقيق نجاحات لافتة في مجال التنمية البشرية فعلى سبيل المثال ارتفع دليل التنمية البشرية لكوريا من ٠.٥٨٩ عام ١٩٧٠ إلى ٠.٨٧٢ عام ١٩٩٠ أي أن قيمة الدليل قفزت بمقدار ٠.٢٨٣ فيما بلغت عام ٢٠٠٩ إلى ٠.٩٢١ وهو ما يجعلها بين الدول ذات التنمية البشرية المرتفعة. فيما كانت قيمة الدليل للعراق ٠.٤٨٩ و ٠.٥٨٩ عامي ١٩٧٠ و ١٩٩٠ على التوالي أي أن الزيادة لم تتعدَ ٠.١ فيما بلغت قيمة الدليل ٠.٦٢٧ عام ٢٠٠٨.

إن انخفاض معدل الإعالة يمكن المجتمعات من تحقيق نتائج اقتصادية واجتماعية أفضل، نتيجة انخفاض العبء على الموارد، كما يمكن لنسبة أكبر من السكان أن تساهم في الادخار والاستثمار المنتج، لذا فان اعتماد سياسة سكانية مناسبة تستهدف تفعيل دور الشباب يمكن أن تعزز هذا التوجه، وتعزيز العوائد الديموغرافية من خلال سياسات وبرامج تستهدف زيادة عدد الشباب المنتجين اقتصادياً.

- راجي أسعد وفرزانة رودي فهيمي، الشباب في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: فرصة ديموجرافية أم تحدي، المكتب المرجعي للسكان، موجز (١٣)، ص ٢ (www.prb.org)

الدستور العراقى الدائم

* لكل فرد الحق في الحياة والأمن والحرية. (المادة ١٥)
* تمنع كل أشكال العنف والتعسف في الأسرة والمدرسة والمجتمع. (المادة ٢٩/ثالثا)
* تكفل الدولة للفرد وللأسرة – وبخاصة الطفل والمرأة- الضمان الاجتماعي والصحي والمقومات الأساسية للعيش في حياة حرة كريمة. (المادة ٣٠/أولا)
* لكل فرد حق العيش في ظروف بيئية سليمة. (المادة ٣٣/أولا)

الشباب في أهداف الخطة الوطنية ٢٠١٠-٢٠١٤

تركز الأبعاد التنموية للخطة الوطنية على تحقيق الآتي:

حشد الجهود الحكومية لتنمية قدرات الشباب بما يمكنهم من المساهمة الفاعلة في العملية التنموية وتأطيرهم في الحياة العامة.

١. **تحقيق توازن امثل بين احتياجات الدولة واحتياجات الشباب.**
٢. **زيادة فعالية برنامج تنمية الشباب من خلال تبني نهج تكاملي لربط أهداف البرنامج بعضها ببعض.**

إن ظروف الأزمات والمتغيرات السريعة التي مر بها المجتمع العراقي تدعو إلى تبني خطط واستراتيجيات وسياسات تنموية مستجيبة وفاعلة لشريحة الشباب الذين يمثلون خمس سكان العراق. إنهم بحاجة لشمولهم بمجمل الفعاليات التنموية والسياسية والاجتماعية، وزيادة تمثيلهم ومشاركتهم في البناء التنموي.إن ذلك يمكن أن يتم من خلال:

١. **تعميق فكرة النوع الاجتماعي بين الشباب وبما يؤمن تفاعلاً بناءاً مابين الذكور والإناث في الحياة الاجتماعية.**
٢. **تمكين الشباب من الإسهام في وضع السياسات والبرامج الخاصة بهم في جميع مجالات التنمية**
٣. **تطوير القيادات الشبابية كي تأخذ دورها في عملية النهوض الحضاري للعراق.**
٤. **تطوير السياسات الاجتماعية الحالية وفقاً للحاجات المستجدة وبما يؤمن مشاركة فعالة لمنظمات المجتمع المدني في حل مشكلات الشباب.**
٥. **الإكثار من مراكز الشباب ومراكز الترويح وبما يؤمن تثقيف الشباب وإشغالهم بأنشطة مثمرة وبناءة.**
٦. **استيعاب الشباب المهاجر والمهجر والعمل على توفير فرص عمل تحقق له الحياة الكريمة.**

المصدر:وزارة التخطيط، خطة التنمية الوطنية ٢٠١٠-٢٠١٤، االفصل التاسع، ص٢١٩-٢٢٠

قبل أن نبدأ

▪ قبل أن نلوم أو نتهم شبابنا علينا:

- ان نُبصر جيداً كفاءة، وجودة، ومدى صلاحية الخبرات التي تسهم في بناء شبابنا...من: (خبرات المدرسة، وخبرات الأسرة، وخبرات الإعلام، وخبرات المجتمع).

- **وقبل أن نلوم أو نتهم شبابنا علينا:**

- ان نُدرك أيضاً إن الاهتمام الرئيس في بناء شبابنا منصب على بعد المفاهيم والحقائق والمعلومات. لذا فنحن نُخّرج إنسانا عارفاً. قدمت له المعرفة عبر الحديث إليه وليس معه !!!

هذا إن نجح في إكمال مشواره، ولم يقع في فخ:

لِمَ ندرس ولِمَ نتعلم.

- قبل أن نلوم أو نتهم شبابنا علينا أيضاً ان نُدرك ان:
- إنسانا أُغتصبَ عقله؟ فأنتجنا...

- شباباً مُنح هامشاً ضيقاً من حرية الحركة والتعبير...!!
- شباباً غفلنا عن التفاعل مع بعده البنائي ...!!

الشباب العراقي من الإقصاء الاجتماعي إلى المواطنة

عوامل الإقصاء: التحديات

آليات إقصاء الشباب

- الفقر
- البطالة
- التهميش
- صراع الأجيال
- نقص التعليم
- الدولة/ النظام السيلسي
- التنشئة الأسرية
- التنشئة الاجتماعية
- الصحة النفسية

الشباب العراقي من الإقصاء الاجتماعي إلى المواطنة

عوامل الدمج : فرص

آليات تفاعل الشباب مع الفرص

- العدالة
- المشاركة السياسية
- المشاركة الفعلية
- القيادة الشبابية
- النزاهة والشفافية
- الدولة/ النظام السيلسي
- تكافؤ الفرص
- التسامح ونبذ العنف
- المسؤولية اجتماعية

شكل يوضح الأبعاد الثلاثة لتمكين الشباب:

مواطنون دونما وطن
مطاردون كالعصافير على خرائط الزمن
مسافرون دون أوراق ..وموتى دونما
كفن.. نحن عبيد العصر كل حاكم يبيعنا
ويقبض الثمن يرسلوننا من مالك لمالك
ومن وثن إلى وثن نركض كل ليلة
نبحث عن قبيلة تقبلنا نبحث عن ستارة
تسترنا وعن سكن.....وحولنا أولادنا
احدودبت ظهورهم وشاخوا
وهم يفتشون في المعاجم القديمة
عن جنة نظيرة عن كذبة كبيرة ...
تدعى الوطن..... مواطنون نحن في
مدائن البكاء قهوتنا مصنوعة من دم
كربلاء..طعامنا ..شرابنا عاداتنا ..راياتنا
زهورنا ..قبورنا جلودنا مختومة بختم
كربلاء أوراقنا مريبة... أفكارنا غريبة
أسماؤنا لا تشبه الأسماء

معتقلون داخل النص الذي يكتبه حكامنا
معتقلون داخل الدين كما فسره إمامنا
معتقلون داخل الحزن ..وأحلى ما بنا أحزاننا
مراقبون نحن في المقهى ..وفى البيت
وفى أرحام أمهاتنا !! مسافرون نحن في
سفينة الأحزان
قائدنا مرتزق وشيخنا قرصان
مكومون داخل الأقفاص كالجرذان
لا مرفأ يقبلنا لا حانة تقبلنا
كل الجوازات التي نحملها
أصدرها الشيطان كل الكتابات التي نكتبها
لا تعجب السلطان
مسافرون خارج الزمان والمكان مسافرون
ضيعوا نقودهم..وضيعوا متاعهم !!
ضيعوا أبناءهم .. وضيعوا أسماءهم ..وضيعوا
انتماءهم...وضيعوا الإحساس بالأمان

- **التوصيات:**
- من المهم جداً، وفي سياق سعي الحكومة لتطبيق إصلاحات إستراتيجية وطنية فلا بد لتلك الحزم الإصلاحية ان تشمل التربية والتعليم في العراق وتطوير النظام التعليمي، بنية، ومنهجاً، ومعلماً وطالباً بهدف:-
- زيادة الفرص المتاحة للتعليم ولاسيما للشباب.
- أن تكون مخرجات النظام التعليمي منسجمة مع متطلبات سوق العمل حيث التوجه نحو اللامركزية في إدارة الاقتصاد.
- إيجاد ما يكفي من مصادر التشجيع لالتحاق الأطفال بالتعليم وتشجيع الشباب على مواصلته.
- العمل على إيجاد نظام إعلامي فعال في مجال التربية والتعليم يستهدف:-
- التوعية بأهمية تعليم الشباب وتبصيرهم بدورهم الفاعل في التنمية الاجتماعية.
- تبيان معوقات التعليم ، وإضرارها على التنمية ، ووضع ذلك كله بين يدي متخذ القرار.
- مكافحة العوامل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي تشجع الشباب على التسرب من الدراسة وتدفع إلى الرسوب.

- إيجاد كل السبل الملائمة لدمج الشباب في حياة مجتمعهم، من خلال فرص التمكين والتشغيل، والتوعية، والبرامج الوقائية والعلاجية.
- تطوير المراكز التدريبية طبقاً لحاجات سوق العمل، وبما يوفر فرصاً واسعة لمشاركة الشباب في حيلة مجتمعهم.
- الاستمرار في تعزيز دور الأسرة والمدرسة والمجتمع المحلي في تنشئة الشباب على نحو سليم يحول دون ظهور واتساع دائرة الانحراف عن قيم المجتمع ومعاييره .
- استثمار بنايات المدارس خلال العطل للمنظمات غير الحكومية للقيام بتنفيذ برامجها على الشباب. وتوفير فرص لاستثمار فراغ الشباب وتنظيم نشاطات تدار من قبل الشباب أنفسهم.
- تحديد مسؤوليات كل وزارة من الوزارات المعنية، وفتح مكاتب لمقابلة للشباب للإصغاء لمقترحاتهم وعروضهم لأفكارهم.

- تنظيم حملات تعليمية طويلة الأمد حول ثقافة اللاعنف لجميع شرائح المجتمع لتعليم ورفع مستويات الوعي للشباب (الآباء، المدرسين أو المختصين، مراكز الرعاية الاجتماعية (تقديم تفاصيل البرامج في الإعلام).
- إنشاء جائزة سنوية للشباب الأكثر نشاطاً وتنظيماً في خدمة المجتمع المحلي.
- الدعم (المالي والمؤسسي) للمنظمات الشبابية الرئيسة، ومنظمات المجتمع المدني الأخرى التي تنفذ برامج التعليم غير الرسمي.
- تقديم الدعم المالي للتعليم الإضافي للأشخاص العاطلين، مثلاً: برامج التعليم غير الرسمي المنظمة من قبل منظمات غير حكومية (NGO).
- تطوير أدوات ووسائل المراقبة المطلوبة حول سوق العمل وتحديد عدد الشباب المنخرطين في ميدان العمل (وتحديد الشواغر السنوية). عن طريق تفعيل دور مكاتب الخدمة الاجتماعية وتنظيم المجتمع.
- زج الشباب في أعمال الإصلاح في برامج التعليم، وتعزيز مبادئ الديمقراطية في عمليات اتخاذ القرار في القضايا التي تهم الشباب. وتفعيل العمل التطوعي ودعمه.

شكراً لاصغائكم